

النشاط الدبلوماسي في فترة حكم الرئيس الراحل هواري بومدين

(من 1965 إلى 1978)

قلواز فاطمة الزهراء، باحثة في الدكتوراه،

أستاذة مؤقتة بجامعة الشلف

ملخص:

يكتسي النشاط الدبلوماسي الجزائري أهمية كبيرة على المستوى العربي والإفريقي، خاصة في الفترة ما بين سنة 1965 وسنة 1978 أين كان رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة وزير للخارجية تحت رئاسة هواري بومدين (رحمه الله). بالرغم من كون الجزائر حديثة العهد بالاستقلال في ذلك الوقت إلا أنها كانت رصيда دبلوماسية مكنها من إيجاد حلول لعدة مشاكل عربية وإقليمية، خاصة حالة الدولة الفلسطينية مع الكيان الصهيوني الاستيطاني؛ حيث تم إنشاء مكتب لدولة فلسطين ومنح ياسر عرفات لأول مرة مخاطبة العالم من منبر الأمم المتحدة في ظل رئاسة جزائرية سنة 1974 في الدورة 29 التي ترأسها عبد العزيز بوتفليقة ثم دورها في القضاء على نظام الأبرتايد بجنوب إفريقيا وحل مشكل الحدود بين العراق وإيران. وقبل هذا برز نشاط الدبلوماسية الجزائرية إبان ثورة التحرير والتي توجت بتدويل القضية الجزائرية في المحافل الدولية خاصة مؤتمر باندونغ. وبهذا تعد هذه المحطات الثلاثة مركز قوة للدبلوماسية الجزائرية في الفترة التالية للاستقلال؛ وهي نتاج جهد وفكر مفجري الثورة؛ كما تمثل همزة وصل بين عهد الثورة والوقت الحالي.

Résumé:

L'activité diplomatique Algérienne a une grande importance à l'échelle arabe et africain, surtout la période entre 1965 -- 1968 ou le chef de l'état Abdelaziz Bouteflika était le ministre de l'extérieur, malgré que l'Algérie était nouvellement indépendante elle a pu former un réserve diplomatique qui l'a aidé a trouver des solutions au contentieux internationaux, surtout au niveau africain; ainsi que le problème palestinien – israélien. Ces effort ont été couronné par régler le problème de l'état palestinien ainsi l'abolition racisme a Afrique du sud, et avant ça cette diplomatie a aidé la révolution Algérienne au congrès de « bandongue ».

مقدمة:

الوثائق وترتيبها وحفظها، ولم يأخذ هذا اللفظ المعنى المتعارف عليه حاليا إلا في القرن 18 وخاصة بعد مؤتمر فيينا 1815 فأصبح يطلق لفظ "الدبلوماسية" على المهنة أي العمل في السلك الدبلوماسي؛ كما يطلق نفس اللفظ للدلالة على الصفات التي يجب أن يتصف بها الشخص المعني بحل وتسوية المشاكل الطارئة أو القضايا المستعجلة (مثل الفطنة، اللباقة الحكيمة...). وما يجب الإشارة إليه أن الدبلوماسية الجزائرية في المرحلة ما بعد الاستقلال لم تأت من فراغ، بل جاءت من مخاض عسير من رحم الثورة؛ مع وعي كبير وبعد النظر لكوارث الثورة آنذاك، بدأ بالقضية

تعج الساحة الدولية بألوان شتى من التناقضات من صراعات، منازعات وأزمات وحروب. وقد تأكد لقادة العالم أن استعمال القوة والسلاح لم يوفق في حل النزاعات ووقف الحروب، بل ما تخلفه الحروب يفوق بكثير ما يستفاد منها وخاصة في جانبها الإنساني فتحول نظرهم للاعتماد على تقنية يتجنب من خلالها الكثير بأقل جهد وأقل تكلفة ألا وهي تقنية العمل الدبلوماسي.

فالدبلوماسية إذن هي الحلقة الضائعة في عالم اليوم الذي تسوده بؤر التوتر والفساد، وهي اللفظ الذي استعمل خلال العصور الوسطى للدلالة على دراسة

دراسة الوثائق وترتيبها وحفظها¹، ويرى البعض أن لفظ الدبلوماسية تعني كلمة دبلوم، كما تعني شيئا مطويا على اثنين والدبلوماسيين بهذا المعنى هم الأشخاص المكلفون بنقل الدبلوماسية².

ويجب الإشارة إلى أن مصطلح "الدبلوماسي" يقابله مصطلح "الرسول" في اللغة العربية؛ ويبدو أنه الأكثر انسجاما ودقة من مصطلح الدبلوماسي الذي لا يزال غير واضح الدلالة لأن العمل الدبلوماسي في القانون الدولي الحالي يقوم على العلاقة بين الرسول والمرسل إليه³.

الدبلوماسية إذن هي أسلوب عمل تختاره الدولة للاتصال والتفاوض لأجل تحقيق الأهداف الخارجية للدولة، وبهذا يمكن إطلاق لفظ "فن" على الدبلوماسية يتطلب من الشخص المكلف بالعمل الدبلوماسي التحلي بشيء من الفطنة واللباقة قدر المستطاع لأجل تحقيق مصالح الدولة في تعاملاتها مع غيرها من الدول الأخرى⁴.

الجزائرية إبان الثورة وصولا لباقي القضايا الجهوية والإقليمية وحتى الدولية بعد الاستقلال مباشرة. وبهذا نطرح الإشكالية التالية؛

إلى أي مدى وفق رئيس الجمهورية وزير الخارجية لدولة الجزائر دبلوماسية في تحقيق الحل السلمي للنزاعات الإقليمية والدولية في المرحلة التالية للاستقلال؟ هذا ما سيتم التطرق إليه من خلال هذا المقال بمحورين؛ يُبحث في الأول مفهوم الدبلوماسية بصفة عامة وتميزها عن بعض المصطلحات المشابهة لها كالسياسة الخارجية والعلاقات الدولية والعمل القنصلي لنصل لتحديد أنواع الدبلوماسية مع تبيان أهم التدابير الدبلوماسية لحل النزاعات بين الدول.

أما المحور الثاني فيتم التطرق فيه لأهم مرحلة من مراحل الدبلوماسية الجزائرية والتي مثلها السيد هواري بومدين ورئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة وقت ما كان وزيرا للخارجية بفضل حنكة ولباقة الاثنين. وفي الأخير نقدم أهم الاستنتاجات المتوصل إليها مع تقديم بعض التوصيات في هذا الشأن.

أولا: مفهوم الدبلوماسية

يتطلب دراسة وبحث نماذج وحالات من الدبلوماسية الجزائرية ضرورة التطرق للعناصر المرتبطة بالموضوع والمتعلقة أساسا بمعنى الدبلوماسية وأنواعها (1) ثم بحث علاقة الدبلوماسية ببعض المفاهيم القانونية المشابهة لها (2).

1- تعريف الدبلوماسية: هي كلمة إغريقية الأصل، انتقلت إلى باقي لغات العالم ومنها العربية، وتعني الوثيقة المطلوبة التي يبعث بها أشخاص السلطة لبعضهم البعض في علاقتهم الرسمية، مما يؤهل حاملها من التمتع بامتيازات خاصة. قد استعملت الدبلوماسية خلال العصور الوسطى للدلالة على

¹ وفي هذا الصدد نشير إلى أن جانب آخر من الفقه أن يرى أن الدبلوماسية قديمة قدم الإنسان لجأت إليها المجتمعات البشرية لأجل تنظيم اتصالاتها مع بعضها البعض، وإن كانت مهمة البعثات الدبلوماسية مؤقتة ومحدودة، تقوم لأجل إتمام صفقة تجارية أو التوقيع على حلف ثم تنتهي بعدها، راجع في هذا صالح بن القبي، الدبلوماسية الجزائرية بين الأمس واليوم ومحاضرات أخرى بدون طبعة، أناب، الجزائر، 2002، ص. 08.

² السيد عليوة، تطوير الأداء الدبلوماسي العربي، موسوعة العلوم السياسية، القاموس الدبلوماسي، ط1، دار الأمين مصر، 2005، ص183.

³ عبد العزيز جراد، العلاقات الدولية، بدون طبعة، موفم للنشر، الجزائر، 1992، ص22. وصالح بن القبي، المرجع السابق، ص08.

⁴ سهيل حسن الفتلاوي، الدبلوماسية بين النظرية والتطبيق، ط1، دار الثقافة، الأردن، 2009، ص. 42.

أما اتجاه آخر فيرى بأن الدبلوماسية ليست بفن فقط وإنما هي فن وعلم معا بالنظر لوجود قانون قواعده مستقرة وثابتة تعرف بـ "القانون الدبلوماسي"، وهي قواعد عرفية في معظمها دخلت مرحلة التقنين بانعقاد اتفاقية فيينا سنة 1961 بشأن العلاقات الدبلوماسية؛ بالإضافة إلى اللوائح الداخلية المنظمة للعمل الدبلوماسي والمعاهدات الثنائية ما يمثل الأطر القانونية لممارسة العمل الدبلوماسي¹.

وذهب بعض الفقه² إلى أن الدبلوماسية تندرج في القوة حتى تنتهي إلى إستراتيجية بالنظر لقدرة وطاقة الجانب الدبلوماسي للدولة في المجال الدولي إلى: دبلوماسية خافتة (ذات طاقات خافتة)، دبلوماسية جهورة (ذات طاقات مقبولة)، دبلوماسية متعجرفة (ذات طاقات قادرة) دبلوماسية مهددة (ذات طاقات فائقة) ودبلوماسية هجومية (ذات طاقات فائضة).

تنوع وتعدد الدبلوماسية بحسب تطور المجتمع الدولي وتطوره، وهي كالتالي:

– **الدبلوماسية الثنائية:** تعد الدبلوماسية الثنائية أساس العلاقات الدولية لعقود من الزمن حيث كانت الدول تقوم بعقد لقاءات ثنائية يترتب عليها معاهدات ثنائية وتحالفات عسكرية، إلا أن تطور العلاقات وتشابكها تضاعفت معه مشاكل الدول، خاصة فيما يتعلق بتنظيم الملاحة في الأنهار الدولية وتنظيم استغلال البحر والجو والفضاء لا تكفي معها الدبلوماسية الثنائية مما استدعى ضرورة الاعتماد على الدبلوماسية الجماعية التي تقوم على الأخذ برأي الأغلبية³.

– **الدبلوماسية الجماعية:** تشمل الدبلوماسية الجماعية عدة صور منها الدبلوماسية البرلمانية التي تسيّر وفق القواعد والإجراءات المتبعة في الاجتماعات البرلمانية مثل التعددية والعينية وهي ترتبط بالمنظمات الدولية، ويتمثل هذا النوع من الدبلوماسية في تدويل القضايا الدولية، وخير مثال على ذلك تدويل القضية الجزائرية⁴. أما ثانياً نموذج للدبلوماسية الجماعية فيتمثل في دبلوماسية المؤتمرات خاصة بإدارة المؤتمرات الدولية وهي في تزايد مستمر نتيجة الظروف الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي تميز المجتمع الدولي الحالي⁵، وعادة ما تعقب الحروب وصولاً لـ "المعاهدات الشارعة"⁶. ويتمثل النموذج الثالث لهذا النوع في الدبلوماسية الشعبية، وهي تمارس من طرف أفراد يمثلون دول في إطار اتفاقات خاصة، منها المنظمات الحكومية ذات الطابع الفني وذات النفع العام و ذات النفع الخاص⁷. يرجع ظهور هذا النموذج من الدبلوماسية الجماعية إلى زيادة الوعي السياسي والتقدم التكنولوجي⁸.

إلى جانب ما سبق ذكره ظهرت للوجود في السنوات الأخيرة أنواع جديدة من الدبلوماسية منها دبلوماسية التنمية ودبلوماسية رجال الأعمال ودبلوماسية حقوق الإنسان وهي أحدث ورقة تلعبها الدول الكبرى في علاقاتها بالدول الأخرى وخير دليل على ذلك صمت أمريكا والدول الكبرى عن انتهاكات حقوق الإنسان

⁴ سهيل حسن الفتلاوي، المرجع السابق، ص. 96.

⁵ السيد عليوة، المرجع السابق، ص. 196 و 197.

⁶ سهيل حسن الفتلاوي، المرجع السابق، ص. 98.

⁷ السيد عليوة، المرجع السابق، ص. 198.

⁸ سهيل حسن الفتلاوي، المرجع السابق، ص. 97 و 98.

¹ السيد عليوة، المرجع السابق، ص. 184.

² يحيى أحمد الكعكي، عدم الانحياز بين النظرية والتطبيق، بدون طبعة، دار النهضة العربية، لبنان، ص. 16.

³ السيد عليوة، المرجع السابق، ص. 185.

التي يقوم بها الكيان الصهيوني في دولة فلسطين المحتلة¹.

2- علاقة الدبلوماسية ببعض المفاهيم القانونية: لما كان ضبط المصطلحات يعد المحك الذي يفهم من خلاله توجه وإيديولوجية الباحث ارتأيت بحث بعض المفاهيم القانونية المشابهة للدبلوماسية والتي يمكن أن يلتبس مفهومها بمفهوم الدبلوماسية، من خلال بحث علاقة الدبلوماسية بالعمل القنصلي (أ) ثم علاقة الدبلوماسية بالسياسة الخارجية (ب) وأخيرا علاقة الدبلوماسية بالعلاقات الدولية (ج).

أ- علاقة العمل الدبلوماسي بالعمل القنصلي: يهدف العمل القنصلي إلى تقديم مجموعة من الخدمات التي تقدمها الدولة إلى المواطنين في الدول التي توجد بها قنصلياتها والسهر على تنفيذها، إلى جانب تدعيم وتأمين الصلة بين الدولة المستضيفة والأجانب المقيمين بها وفق القانون والعرف الدوليين. كما تقوم الأجهزة القنصلية ببعض الشؤون الإدارية كقيد المواطنين والخدمة العسكرية والتجنيد وترحيل المواطنين إلى دولتهم وإصدار الشهادات واستخراج صفيحة الحالة الجنائية. كما تشمل عملية التصديق على المحررات والتحكم في المنازعات بين المواطنين في الخارج ورعاية المهاجرين في دول المهجر²، من أجل تسهيل مهام المهاجرين وقضاء حاجاتهم. ويجب الإشارة إلى أن العمل القنصلي سبق العمل الدبلوماسي، إذ تطور العمل القنصلي عبر مراحل زمنية من دور المحامي في البداية وصولا للقنصل القاضي ثم تمثيل الدولة ورعاية مصالحها لارتباطه بتطور العلاقات التجارية بين الدول إلى أن تم التضييق

من مهامه بسحب مهام القضاء من اختصاصه والمهام الدبلوماسية بظهور الدبلوماسية الدائمة³.

وترتبط لما سبق تبيان به بشأن المفهومين فإن اتفاقية العمل القنصلي اعتمدت على نفس القواعد التي اعتمدتها الاتفاقية العمل الدبلوماسي حسب ما ورد في نص المادة الأولى والثانية من اتفاقية فينا للعلاقات القنصلية لسنة 1963. وكلا المفهومين ينتميان للقانون الدولي العام ما يفيد أن هناك تداخلا بينهما كما يتضح أن هناك ارتباط العمل القنصلي بالعمل الدبلوماسي وليس العكس وفق ما ورد في نص المادة الأولى والمادة الخامسة من الاتفاقية. وفي هذا مساعدة للدول التي لا تستطيع إنشاء الوحدات معا.

أما فيما يتعلق باختلاف العمل الدبلوماسي عن العمل القنصلي فقد بينته إحدى فقرات المادة الثانية من الاتفاقية السابقة الذكر بما يلي: " قطع العلاقات الدبلوماسية لا يتضمن تلقائيا قطع العلاقات القنصلية " ما يفيد أن هناك استقلالية بين العمل الدبلوماسي والعمل القنصلي، ضف لهذا فإن المؤسسات الرأسمالية لجأت للاتصال المباشر بالشركات الأجنبية دون اللجوء للقنصليات التابعة لدولتها⁴. وبهذا يبدو أن المفهوم الدبلوماسي أوسع من المفهوم القنصلي الذي يمثل عنصر محتوى في المفهوم الأول. كما يتجلى الفرق بين المفهومين كذلك من خلال المهام والوظائف الموكلة للممثلين الدبلوماسيين والقنصليين، إذ يغلب على الوظائف القنصلية الطابع الاقتصادي والتجاري والإداري دون الطابع التمثيلي السياسي، كما يمكن

³ نبيل توفيق حسن، تطوير الأداء الدبلوماسي العربي، تطوير أساليب العمل بالقنصلية العربية، ط.1، دار الأمين، مصر 2005، ص.165 و166.

⁴ علي حسين الشامي، الدبلوماسية، نشأتها وتطورها وقواعدها ونظام الحصانات والامتيازات والدبلوماسية، ط.3، دار الثقافة، الأردن، 2007 ص.320. وسهيل حسن الفتلاوي، المرجع السابق، ص.223 و225.

¹ فؤاد صادق المفتي، تطوير الأداء الدبلوماسي العربي (جامعة الدول العربية كمدرسة لدبلوماسية المنظمات الدولية) ط.1، دار الأمين، مصر، ص.14.

² فؤاد صادق المفتي، نفس المرجع السابق، ص.16.

للممثل الدبلوماسي القيام بالوظائف الخاصة بالممثل القنصلي إلى جانب مهامه الأصلية والعكس غير صحيح¹. ومن أوجه الاختلاف بين العمل المفهومين كذلك؛ أن البعثات القنصلية تنتشر في أقاليم الدولة الموجودة بها، على خلاف البعثة الدبلوماسية فهي توجد في مكان واحد بالدولة المعتمدة بها وهو مقر السفارة، كما أن العمل القنصلي يهتم بالحالات الفردية والمحدودة الأهمية، أما المسائل ذات الأهمية الكبرى كتلك المرتبطة بالمخالفات العامة والقانون الدولي فإنها من اختصاص البعثات الدبلوماسية².

وأهم ما يؤكد استقلالية المفهومين عن بعضهما البعض هو اختلاف نظامهما القانوني إذ ينظم العمل الدبلوماسي اتفاقية فينا لسنة 1961 بينما العمل القنصلي تنظمه اتفاقية فينا لسنة 1963.

ب- علاقة الدبلوماسية بالسياسة الخارجية: يعرف أهل الاختصاص السياسة الخارجية بأنها النهج أو الخطة التي تتبناها الدولة في علاقتها مع المجموعة الدولية³. أما مارسيل مارل فيرى بأن السياسة الخارجية هي " جزء من نشاط دولي (étatique) يتجه نحو الخارج " وعليه؛ فالسياسة الخارجية تمثل جزءا أساسيا من السياسة العامة للدولة إذ تعتبر الوجه العاكس للسياسة الداخلية للدولة وامتداد لها⁴.

بناء على ما سبق وباعتبار الدبلوماسية العملية التي تحقق بها الدولة مصالحها وتقيم علاقاتها مع الدول

الأخرى تتضح العلاقة الوطيدة والتداخل الواضح بين المفهومين، كما تمثل الدبلوماسية جزءا أساسيا من السياسة الخارجية إذ تعد أداة فعالة لتنفيذ السياسة الخارجية للدول⁵، وفي هذا المعنى يقول كابتشنيكو إذا نظرنا لإعادة هيكلة الاتحاد السوفياتي من الجانب السياسي فهي عبارة عن بذل الجهود بشكل متتالي لأجل تعزيز السلام والأمن وتحقيق الاستقرار الدولي بإلغاء بؤر التوتر الدائمة في العالم⁶ - وهذا المسعى لا يتحقق إلا بعمل دبلوماسي ما يفيد التداخل والترابط بين المفهومين -. ويرى جانب آخر من الفقه أن موقع الدبلوماسية من السياسة الخارجية كموقع السياسة الخارجية من السياسة الداخلية وفي هذا الصدد يقول فودريه "إن الدبلوماسية تثير بالفعل فكرة تسيير الشؤون الدولية ومعالجة العلاقات الخارجية وإدارة المصالح الوطنية للشعوب ..."⁷.

أما فيما يتعلق بعناصر الاختلاف بين المفهومين يتمثل في الطابع السري للدبلوماسية، وفي هذا المعنى يقول جينيه "الشرط الأساسي لكل مفاوضة والذي لا يمكن التخلي عنه أبدا هو سرية الدبلوماسية ". أما السياسة الخارجية لا يمكن أن تتم سرا⁸.

ج - علاقة الدبلوماسية بالعلاقات الدولية: يعرف سيمون دريفوس العلاقات الدولية بما يلي: "العلاقات الدولية هي العلاقات التي تتجاوز حدود دولة واحدة والتي بحكم كونها واقعة في إطار المجموعة الدولية لا تخضع لسيطرة دولة واحدة " أما رجال القانون فيرون أن العلاقات الدولية تهتم بتحليل سلوك الدول من خلال الآليات الاجتماعية والقواعد القانونية التي يتكون منها القانون الدولي العام، ومن هذا المنطلق يتضح أن العلاقات الدولية هي تلك العلاقات التي

¹ علي حسن الشامي، المرجع السابق، ص. 322 و 326. وسهيل حسن الفتلاوي، المرجع السابق، ص. 226..

² علي حسن الشامي، المرجع السابق، ص. 330 و 331 و 332. وحسن حنفي عمر، دعوى الحماية الدبلوماسية لرعايا الدولة في الخارج ط 1، دار النهضة العربية، مصر، 2005، ص. 90.

³ حسن حنفي عمر، نفس المرجع السابق، ص. 90.

⁴ محمد سامي عبد الحميد، أصول القانون الدبلوماسي، ط. 1، دار المطبوعات الجامعية، مصر، 2006، ص. 11.

⁵ علي حسين الشامي، المرجع السابق، ص. 45.

⁶ محمد سامي عبد الحميد، المرجع السابق، ص. 14.

⁷ علي حسين الشامي، المرجع السابق، ص. 45.

⁸ عبد العزيز جراد، المرجع السابق، ص. 60..

تبنى عليها الروابط وتتحقق عن طريقها المبادلات داخل المجتمع الدولي¹.

وما يجب الإشارة إليه أنه وإلى غاية الحرب العالمية الأولى كان هناك خلط بين الدبلوماسية والعلاقات الدولية. وبعد هذا التاريخ ظهرت رغبة الدول في تناول الظاهرة الدولية من جميع جوانبها وليس الدبلوماسية فقط². وفي هذا الصدد يرى أنصار المدرسة الواقعية أن الدبلوماسي والجندي هما من يصنعان العلاقات الدولية، فالأول يصنعها وقت السلم والثاني يصنعها وقت الحرب³.

وترتبطا على ما سبق ذكره يتضح أن هناك تداخل وتشابك بين المفهومين من خلال خضوع كليهما للقانون الدولي العام وأن كلاهما يرتبط بالسياسة الخارجية للدول، وما يفيد التداخل بين المفهومين مقولة ليونيد برجنييف "إن التعايش السلمي يخص العلاقات الدولية" ما يستخلص منه أن الخلافات والنزاعات يجب أن تحل دبلوماسيا لا باستخدام القوة والتهديد. إلى جانب ما جاء به ريموند أرون "...هناك رجلان يعملان في صورة تامة ليس بوصفهما عضوين عاديين، وإنما بوصفهما ممثلين للجماعات التي ينتميان إليها... السفير والجندي يعايشان العلاقات الدولية ويرمزان إليها تلك العلاقات التي تلخص من حيث هي علاقات بين الدول في الدبلوماسية والحرب"⁴. إلا أن ما يبدو أن مفهوم العلاقات الدولية أوسع من مفهوم الدبلوماسية، إذ يعد هذا الأخير محتوي في المفهوم الأول، إلى جانب هذا؛ فإن كل دولة من دول المجتمع الدولي ملزمة بإقامة علاقات دولية مع باقي الدول. لكن الدبلوماسية باعتبارها فن تتطلب ممارسة وحنكة لباقة، لياقة،

ذكاء ودهاء وهذا ليس من حظ كل الدول، فكل دولة حسب قدرة قادتها وزعمائها مع ضرورة توافر علاقة حب بشكل متتالية هندسية بين الشخص المعني ودولته.

وتعقبا على ما سبق تناوله بشأن علاقة الدبلوماسية بالمفاهيم القانونية المشابهة لها السابق ذكرها يمكن القول أنه لو كان للدبلوماسية نفس المعنى المفاهيم القانونية السابق ذكرها لما اهتمت التشريعات الوطنية والدولية بإفراد نصوص خاصة بكل مفهوم قانوني يميزه عن غيره من المفاهيم القانونية الأخرى، إلا أنه لا يمكن تجاهل أو إنكار علاقة التداخل بين المفاهيم ببعضها البعض ولدرجة يدق معها الفصل بين اثنين في كثير من الحالات.

ثانيا: أهم الوسائل المتاحة لتسوية النزاعات⁵ الدولية بالطرق السلمية

تتمثل الوسائل المتاحة لحل النزاعات الدولية بالطرق السلمية في وسائل دبلوماسية التالية: التفاوض والمساعي الودية، الوساطة التحقيق والتوفيق يقوم بها كل من رئيس الدولة أو وزير الخارجية؛ كما يمكن أن توكل لممثلي البعثات الدبلوماسية، وفي حالة فشل هذا الخيار لم يبق أمام أطراف النزاع الدولة سوى اللجوء للحل القضائي كخيار حتمي تجنباً للخيار العسكري غير المرغوب فيه، سيتم التطرق للتفاوض كعنصر من عناصر الحل السلمي (أ) ثم بحث عنصر الوساطة (ب) لأن الاتجاه السائد حاليا في درء النزاعات يتمثل

⁵ النزاع هو تعارض في الحقوق القانونية، والصراع هو التعارض في المصالح، أما الأزمة فهي تحول فجائي عن السلوك المعتاد وتعني تداعي سلسلة من التفاعلات يترتب عليها نشوء موقف مفاجئ ينطوي عليه أساليب متنوعة للتعامل مع كل موقف لاحتواء الصراع والإحاطة به والسيطرة عليه راجع في هذا السيد عليوة، المرجع السابق، ص. 99.

¹ على حسين الشامي، المرجع السابق، ص. 47.

² عبد العزيز جراد، المرجع السابق، ص. 14 و 15.

³ عبد العزيز جراد، نفس المرجع السابق، ص. 22.

⁴ عبد العزيز جراد، نفس المرجع السابق، ص. 48.

في التفاوض والوساطة¹. أما الخيار الثاني للحل (الحل القضائي) السلمي للنزاعات فيستبعد من البحث.

أ - التفاوض:

حددت المادة 33 من ميثاق الأمم المتحدة أهم الوسائل الدبلوماسية المتاحة في القرن العشرين لتسوية النزاعات بالطرق السلمية، وجاء نصها كما يلي: "يجب على أطراف أي نزاع من شأن استمراره أن يعرض السلم والأمن الدولي للخطر أن يلتمسوا حله بادئ ذي بدءاً بطريقة المفاوضة.... أو أن يلجأ إلى الوكالات أو التنظيمات الإقليمية أو غيرها من الوسائل السلمية التي يقع عليها اختيارها". ولذا سيتم تعريف التفاوض (أ.1). ثم بحث استراتيجيات التفاوض وأدواته (أ.2).

أ.1- تعريف التفاوض: التفاوض هو المباحثات والمداولات التي تجري بين دولتين أو أكثر على إقليم إحدى الدول المفاوضة وفي حالة تعذر ذلك يمكن أن تستضيفه دولة أخرى، ويتم بجلوس الأطراف المعنية حول طاولة واحدة يتم بينهما عملية أخذ وعطاء بشأن الموضوع محل النقاش، أهم ما يميز عملية التفاوض أنها تتم شفاهة وفي الأخير يتم تدوين ما تم الاتفاق عليه مع التوقيع بالأحرف الأولى لذوي الشأن، ثم يحال للجهاز المعني بالمصادقة عليه قبل أن يدخل حيز التنفيذ².

وقد يقوم التفاوض بين منظمة إقليمية أو دولية في إطار مؤتمر إقليمي أو دولي حسب الهيئة التي تنظمه ويختلف هذا النوع من التفاوض عن التفاوض الثنائي من حيث الإجراءات المتبعة فيه، إذ يتم العمل فيه وفق

نظام التصويت³، يتم عن طريق عقد مؤتمرات خاصة بشأن تسوية النزاعات. وبهذا أصبح تنظيم المؤتمرات في هذا الشأن علماً وفناً يحتاج تكوين وتدريب الأشخاص المعنيين بالتفاوض، ويعد أهم صور دبلوماسية المؤتمرات في السنوات الأخيرة هو انتشار ظاهرة مؤتمر القمة لمعالجة قضايا دولية حساسة قد تثير أزمات دولية حادة مثل مؤتمر قمة الأرض⁴.

وبسبب التطور التكنولوجي وتشابك مصالح الدول ظهر للوجود نوع آخر من المؤتمرات الدولية بهدف إقامة منظمات دولية دائمة ذات وظائف متعددة في المجال الدبلوماسي؛ مثل تنظيم الملاحه في الأنهار الدولية والملكية الصناعية وأصبح يطلق عليها حالياً بـ"الوكالات المتخصصة". كما تأثرت المؤتمرات الدولية في القرن العشرين بالتوجه نحو "الدبلوماسية المفتوحة" التي تركز على العلانية في التفاوض⁵. وما يجب الإشارة إليه أن بعض الفقه يرى بأن القرن العشرون يعتبر قرن التفاوض الدولي يقوم على تجسيد مهارات الاتصال والقيادة⁶.

أ.2- استراتيجيات التفاوض وأدواته: يرى بعض الفقه أن التفاوض معركة سلمية، مما يستدعي ضرورة الإعداد لها باستنفاد كل القدرات والطاقات وكل أدوات التفاوض المتاحة، والتركيز على نقاط ضعف الطرف الآخر أي المنفذ الذي يتمكن منه الطرف المفاوض للوصول للطرف الآخر وإقناعه، إلى جانب الاعتماد على إستراتيجية "عكس المعقول" وذلك

³ محمد أحمد عبد الغفار، المرجع السابق، ص.26.

⁴ فؤاد صادق المفتي، تطوير الأداء الدبلوماسي العربي، جامعة الدول العربية كمدرسة لدبلوماسية المنظمات الدولية، ط.1، دار الأمين، مصر، 2005 ص.13 و14.

⁵ السيد عليوة، المرجع السابق، ص.199.

⁶ مصطفى عبد الباسط، تطوير الأداء الدبلوماسي العربي، استراتيجيات التفاوض وأدوات نجاحه، ط.1، دار الأمين، مصر، 2005، ص.106.

¹ محمد أحمد الغفار، فض النزاعات في الفكر والممارسة الغربية (دراسة نقدية وتحليلية)، الكتاب الأول، الدبلوماسية الوقائية وصنع السلام، الجزء الثالث دار هومة، الجزائر، 2004، ص.26.

² محمد أحمد الغفار، نفس المرجع السابق، ص.26.

بمفاجئة الطرف الآخر بآخر ما يتوقعه من التصرف¹. ويتم الوصول لهذا الخيار بعدة استراتيجيات نذكر منها ما يلي²:

- عن طريق نظام الصفقة أو ما يسمى بنظام الحزمة أين يتم تجميع مجموعة من الموضوعات في نزاع واحد بحيث لا يمكن الفصل بينها في عملية التفاوض، وذلك بإرضاء الطرف الذي يتحمل الخسارة بحصوله على مكاسب في جانب آخر مثل ما حصل في حرب قناة السويس لسنة 1956.

- عن طريق إستراتيجية الصفقات المتكاملة التي تعتمد على تحقيق المكاسب المشتركة لكل الأطراف، أي الحصيلة غير الصفرية أو عن طريق إستراتيجية الصفقات التوزيعية التي تقوم على الحصول على أكبر قدر من التنازلات للطرف الآخر فتنتهي بطرف رابع وآخر خاسر.

أما أدوات التفاوض فتكمن في المواهب والقدرات الجسمانية والعقلية والظروف المحيطة للتأثير على الآخرين، إلى جانب إحاطة المفاوض بالمعلومات الدقيقة وما استجد منها، والظروف والمتغيرات المؤثرة على سير التفاوض وتحديد المكان والزمان المناسب لإجراء التفاوض مع الالتزام بآداب الحوار وضوابطه. وأهم شيء هو محاولة امتصاص غضب المفاوض الآخر، وتجنب الاعتماد على صداقته³.

ب- الوساطة:

تعد الوساطة الخيار الثاني لحل النزاعات الدولية ولا تقل أهمية عن التفاوض وهي الوجه غير المباشر للتفاوض وفقا لما ورد في نص المادة 33 من ميثاق الأمم المتحدة جاء نصها كما يلي: "يجب على

أطراف أي نزاع من شأن استمراره أن يعرض السلم والأمن الدولي للخطر ... والوساطة أو أن يلجأ إلى الوكالات أو التنظيمات الإقليمية أو غيرها من الوسائل السلمية التي يقع عليها اختيارها". ولذا سيتم تعريف الوساطة (ب1) ثم بحث استراتيجيات الوساطة وحدودها (ب2).

ب1- تعريف الوساطة: تعددت التعاريف التي جاء بها الفقه في معنى الوساطة نذكر منها ما يلي:

الوساطة هي "مرحلة متقدمة من المساعي الودية التي يبذلها الغير لتسوية نزاع بين دولتين، فهي تتمثل في عمل إيجابي من جانب الوسيط نحو إيجاد حل للنزاع القائم بين الدول، وتقريب وجهات النظر بين الدول المتنازعة، وذلك عن طريق تقديم المقترحات التي يراها مناسبة لحل الخلاف القائم"⁴.

ويعرف جانب آخر الوساطة كما يلي: "الجهد الذي يقوم به طرف ثالث من أجل التدخل لحل نزاع بين دولتين أو مساعدتهما للوصول إلى حل ... ويكون تدخل الوسيط مباشر في المفاوضات ويكون ذو نفوذ وكلمة لدى الطرفين وفي بعض الأحيان يستعمل نفوذه للضغط على الطرفين للتوصل إلى حل أو وقف الحرب أو منعها من الحدوث كما هو حال الوساطة الولايات المتحدة الأمريكية بين إسرائيل وفلسطين في عملية السلام في الشرق الأوسط"⁵. وبهذا فالوساطة تقنية من التقنيات الفعالة لفض النزاعات، ويدل لفظ

4 طه محمد بدر الدين، التحكيم في منازعات الحدود الدولية (دراسة تطبيقية على قضية طابا بين مصر وإسرائيل)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991 ص. 236، نقلا عن عامر مصباح، معجم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، ط.1، دار الكتاب الحديث، مصر، 2009، ص. 126.

5 عامر مصباح، المرجع السابق، ص. 127. وإن كان ما يحدث في الشرق الأوسط لا ينطبق عليه أبدا وصف "السلام"، بل الاضطهاد والدمار وتآمر بقصد استئصال شعب أصيل عن وطنه، فهي كلمة حق أريد بها باطل.

¹ مصطفى عبد الباسط، نفس المرجع السابق، ص. 107 و108.

² محمد أحمد عبد الغفار، المرجع السابق، ص. 69 و70 و71.

³ مصطفى عبد الباسط، المرجع السابق، ص. 108 و110.

احتواء النزاع وحلها على انفراد، ودون انفلات الأمر لبدء التفكير في استخدام القوة فالوسيط عليه تحري الوقت المناسب لاحتواء النزاع وحله سلمياً⁵. وتعد أهم الاستراتيجيات الضرورية لإنجاح عملية الوساطة إلمام الوسيط وتدريبه على نظريات علم النفس وكيفية تطبيقها حتى يمكنه اختيار أحسن المفاتيح من خلال تصوراته للأحداث والتطورات التي وصلت إليها الأزمة مما يمكنه من احتواء الأزمة وحلها في وقت قياسي، وفي هذا المعنى يرى أهل الاختصاص بأن النزاع عادة ما يكون في أذهان الأشخاص وليس في الواقع إلى جانب هذا؛ يشترط في الوسيط أن يوظف الجانب التحفيزي للموضوع، فعلى سبيل المثال ما قام به البنك الدولي في وساطته بين الهند وباكستان بشأن المياه الهندية؛ بالتنويه بما ستدره عليهما التسوية الودية من أموال، دون أن ننسى وزن شخص الوسيط على الساحة الدولية وكذا الضمانات المالية والأمنية للحل السلمي للنزاع بالنظر لقيمة الفائدة المتحصل عليها مقارنة بما يمكن تحقيقه من وراء التمسك بالمطالب المتنازع حولها⁶. وما يجب الإشارة إليه؛ عدم إغفال حياد الوسيط؛ وذلك بصب كل جهده في فض النزاع سلمياً فقط وهو الأمر الذي قل ما يحدث مما يؤثر بالسلب على عملية الوساطة بشكل عام التي عادة ما يسعى الوسيط من ورائها لإعادة ترتيب المكتسبات فقط. وخير دليل على ذلك الوساطة الأمريكية بشأن النزاع العربي الإسرائيلي، - تماشياً مع مصالحه - مما يؤثر بالسلب على الطرف الآخر⁷.

ثالثاً: نماذج من الدبلوماسية الجزائرية

"الوساطة" على أنها يتطلب طرف ثالث غير معني بالنزاع، هذا الأخير (الوسيط) يتطلب فيه رؤية أوسع ويحظى بموافقة أطراف النزاع، وأن يكون مؤهلاً ويرغب في القيام بمهمته. ويجب الإشارة إلى أن الوساطة تختلف عن التحكيم الذي يرتبط بالجهاز القضائي¹. يجوز للوسيط أن يتصل بالأطراف المتنازعة على انفراد أو بصورة مجتمعة، وتتمثل في الوساطة المباشرة وغير المباشرة². إلى جانب الوساطة الإجبارية التي ظهرت بعد النظام الدولي الجديد سنة 1990 تفرض فيها الدولة سلطتها على الأطراف المتنازعة وقد يفرض الوسيط حلولاً لصالح طرف ضد آخر أو لصالحه³. ولكنها لا تمثل إلا استثناء على القاعدة⁴.

ب.2- استراتيجيات الوساطة وحدودها: بالرغم مما تم طرحه فيما يتعلق بالوساطة، فإن ما يبدو أن التطبيق العملي لتقنية الوساطة من الصعوبة بمكان بالنظر لحساسية الموضوع وتعلقه بأمر سيادية، ولذا يجب اختيار الوقت المناسب وفق ما يعرف بـ"لحظة النضج" أي بعد أن يفقد الأطراف المتنازعة الأمل في

¹ محمد أحمد عبد الغفار، المرجع السابق، ص. 83 و84 و85.

² تعد الوساطة المباشرة النوع الأكثر انتشاراً والأمن فائدة، ومثال ذلك ما قام به الرئيس هوري بومدين في سنة 1975 لتسوية الخلاف بين العراق وإيران حول الحدود المائية يقوم بها أكثر من طرف حيث يختار كل طرف متنازعا شخصا يكلفه بالاتصال بالشخص الذي اختاره الطرف الآخر، أما الوساطة غير المباشرة فقد يعرض مصالح الأطراف المتنازعة للخطر، و لذا نادراً ما تلجأ الدول لهذا النوع من الوساطة. راجع في هذا سهيل حسن الفتلاوي وغالب عواد حوامدة، القانون الدولي العام، حقوق الدول وواجباتها - الإقليم المنازعات الدولية الدبلوماسية-، ط1، دار الثقافة، الأردن، 2007 ص181.

³ سهيل حسن الفتلاوي وغالب عواد حوامدة، نفس المرجع السابق، ص.182.

⁴ محمد نصر مها وخلدون ناجي معروف، تسوية المنازعات الدولية مع دراسة لبعض مشكلات الشرق الأوسط، بدون طبعة، بدون سنة النشر مكتبة غريب، ص.41.

⁵ محمد أحمد عبد الغفار، المرجع السابق، ص.102، 103.

⁶ محمد أحمد عبد الغفار، نفس المرجع السابق، ص. 106.

107.

⁷ محمد أحمد عبد الغفار، نفس المرجع السابق، ص. 114 -

123.

حددت جبهة التحرير الوطني عن طريق عملها الدبلوماسي جملة من الأهداف أهمها تدويل القضية الجزائرية، إلى جانب سعيها المبكر للمشاركة في أكبر محفلين دوليين هما: مؤتمر باندونغ في أبريل 1955 والدورة العاشرة للأمم المتحدة في سبتمبر من نفس السنة¹، بحركة إعلامية واسعة من مصر لمجابهة العنف والإرهاب الفرنسي؛ فتمكنت من تحقيق الاعتراف بجبهة التحرير الوطني كممثل شرعي للشعب الجزائري، باعتبارها القائد للعمل المسلح في الداخل والدبلوماسية في الخارج عن طريق مناقشة القضية الجزائرية بالأمر المتحدة، محطمة بذلك المزاعم الفرنسية الكاذبة خاصة بعد انعقاد مؤتمر الصومام سنة 1956، وبتضافر العمل العسكري بالداخل والدبلوماسي بالخارج تمكنت جبهة التحرير الوطني من إحباط ألاعيب ومناورات الدبلوماسية الفرنسية بالأمر المتحدة². وتعد الدورة الحادية عشر للأمم المتحدة دورة حاسمة للأمم المتحدة لأنها تناولت القضية الجزائرية بعد أن سلم وفد جبهة التحرير الوطني مذكرة لرئيس الدورة.

وما يجب الإشارة إليه أن العمل الدبلوماسي لجبهة التحرير الوطني ساهم في إضعاف الجانب الاقتصادي والسياسي لفرنسا إذ تسبب بتعاقب ست حكومات الواحدة تلو الأخرى أطولها دامت سنة واحدة وسقوط الجمهورية الرابعة، وأثرت حتى على سمعتها أمام دول العالم³. وهكذا تمكنت جبهة التحرير الوطني في وقت وجيز من تكوين جهاز دبلوماسي فعال عبر مختلف دول العالم؛ يعمل بالتوازي مع العمل العسكري بالداخل، الأمر الذي وضع العدو الفرنسي

لا يمكن التطرق للكلام عن الدبلوماسية الجزائرية في عهد الاستقلال دون المرور على انجازات الدبلوماسية الجزائرية وقت الثورة لأن الجيل الذي صنع الدبلوماسية الجزائرية بعد الاستقلال خرج من رحم الثورة بعد ولادة طبيعية صعبة فاكسبت سمعة طيبة مع جدية ومصداقية في عملها الدبلوماسي (1) لنصل لأهم نماذج الدبلوماسية الجزائرية في عهد رئيس الجمهورية السيد هواري بومدين والسيد عبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية آنذاك، بالنظر لأهميتها وتأثيرها على كل مراحل الدبلوماسية الجزائرية وقد سميت هذه المرحلة من طرف بعض الفقه بـ "المرحلة الذهبية للدبلوماسية الجزائرية". نبحث فيها على الصعيد العربي الموقف الإيجابي للدبلوماسية الجزائرية من القضية الفلسطينية (2) ثم التطرق لدور الدبلوماسية الجزائرية على الصعيد الإقليمي ندرس من خلالها مكافحة نظام الأبرتاید للقضاء على التمييز العنصري بجنوب إفريقيا(3). وكنموذج أخير نتطرق للنشاط الدبلوماسي الجزائري على الصعيد الدولي من خلال معالجة قضية الحدود بين إيران والعراق (4). ويتم الاكتفاء بهذه النماذج فقط كعينات ناطقة عن الدبلوماسية الجزائرية في هذه المرحلة.

1-الدبلوماسية الجزائرية أثناء ثورة التحرير الكبرى:

إن الدبلوماسية الجزائرية في هذه المرحلة لم تأت من العدم، بل جاءت من منبع غزير للعمل الدبلوماسي لأجل التعريف بالجزائر وقضيتها قام به كل من حمدان خوجا والأمير عبد القادر، إلى جانب تدخل الحركة الطلابية، وهكذا تم العمل الدبلوماسي الجزائري بالتواصل بين الأجيال من طرف أعضاء جبهة التحرير الوطني فتمكنت من التوصل إلى نتائج مهمة مثلت القاعدة للدبلوماسية الجزائرية بعد الاستقلال لا يمكن تجاهلها تمثلت فيما يلي:

- الإنجازات الدبلوماسية لجبهة التحرير الوطني:

¹ عبد العزيز جراد، المرجع السابق، ص. 60 و 66.

² أحمد سعيود، العمل الدبلوماسي لجبهة التحرير الوطني (1954-1958)، صادر عن وزارة الثقافة، 2008، ص. 99.

³ أحمد سعيود، المرجع السابق، ص. 157 و 158 و 159 و 189.

أمام الأمر الواقع، فخضع لمبدأ التفاوض القائم على أساس الاعتراف باستقلال الجزائر استقلالاً تاماً (بعد أن سعت وبكل جهدها لإجراء اتصالات سرية مع بعض قادة الأحزاب، ثم اتصالات شبه رسمية إلا أنها لم ترقى لدرجة التفاوض¹). وبهذا تم إعادة بعث الدولة الجزائرية بعد اختفاء دام قرابة 130 سنة². وبعدها انطلقت الدبلوماسية الجزائرية في نشاطها عبر عواصم العالم من خلال الدورات للاحقة للأمم المتحدة³ نتج عنها فشل فرنسا في منع الجمعية العامة للأمم المتحدة من مناقشة القضية الجزائرية، وبهذا تكونت البذور الأولى لدبلوماسية جبهة التحرير محققة انتصاراً باهراً توج باستقلال الجزائر على حساب الهمجية الفرنسية⁴. نتج عنها ما يلي⁵:

- تمكين الجزائر من انتصارها هاما في المجال الدولي، كان أحد أهم الأهداف التي رسمتها قيادة الثورة عند اندلاعها، وتحقق ذلك عن طريق المشاركة في مؤتمر باندونغ سنة 1955 فاستطاعت من خلاله الوصول إلى الكتلة الأفرو-آسيوية والمطالبة الرسمية بتسجيل القضية الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة.

- إجبار فرنسا القوة العظمى المزعومة وقتها بالجلوس على طاولة المفاوضات الندد للند مع الجزائر كدولة في طريق الاستقلال؛ بعد ما كانت ترى فيها مقاطعة فرنسية! انتهى باستقلال الجزائر بتاريخ 05 جويلية 1962 وانضمامها لجامعة الدول العربية في 16 أوت من نفس السنة.

2- نشاط الدبلوماسية الجزائرية على الصعيد العربي: إن الصراع العربي الصهيوني والقضية

الفلسطينية على الخصوص لم تحظ بمكانتها ولم تستوعب من طرف الرأي العام الإفريقي والعالمي، إلا بعد المساعي الجزائرية التي أزاحت عنها جانبها العربي وأعطتها مدلولها الحقيقي والمتمثل في الاستدمار الصهيوني الغاشم لدولة تتوفر على كل الشروط التي يقر بها القانون الدولي لسيادة الدول فأكسبها الدعم الإفريقي الذي كان في صف الكيان الصهيوني على حساب الشعوب العربية⁶. وقد ظهر موقف الجزائر باتجاه القضية الفلسطينية بمجرد الاستقلال في سنة 1963 إذ قامت بفتح مكتب لدولة فلسطين فكان هو الأول من نوعه في العالم كفرصة للتعريف بالقضية الفلسطينية، ثم عند حضور الجزائر أول قمة عربية لسنة 1964 التي انعقدت لأجل تمكين الشعب الفلسطيني من تقرير مصيره عن طريق مساعدته في إنشاء جبهة تحرير وطنية، وقد تحقق هذا بقيادة البطل أحمد الشقيري ممثل العربية السعودية.

وفي نفس السياق قام السيد هواري بومدين (رحمه الله) رئيس الدولة آنذاك في حرب أكتوبر 1973 بإقناع الملك فيصل بتبني فكرة المقاطعة لحلفاء الكيان الصهيوني، كما تمكن من إقناع الاتحاد السوفياتي من دعم وتعويض القدرة التسلحية المصرية⁷. كما تمكن ياسر عرفات من مخاطبة العالم لأول مرة من منبر الأمم المتحدة اكتسب به اعتراف أممي بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للقضية الفلسطينية رغم اعتراضات الشديدة على اعتبار أن المعني ليس رئيساً لدولة حسب زعمهم⁸، هذا في ظل الرئاسة الجزائرية للأمم المتحدة في سنة 1974 بفضل حنكة ولباقة وزير الخارجية الجزائري آنذاك السيد عبد العزيز

¹ أحمد سيعود، المرجع السابق، ص. 174 و 175 و 191.

² أحمد سيعود، نفس المرجع السابق، ص. 164 و 166.

³ أحمد سيعود، نفس المرجع السابق، ص. 104 و 105.

⁴ أحمد سيعود، نفس المرجع السابق، ص. 112 و 124 و 125.

⁵ أحمد سيعود، نفس المرجع السابق، ص. 130 و 131.

⁶ أحمد سيعود، المرجع السابق، ص. 60.

أحمد المسلماني، خريف الثورة صعود وهبوط العالم العربي، دار ميرت، مصر، 2005، ص. 95 و 98.

⁸ الطاهر بجاوي، عبد العزيز بوتفليقة رجل المهمات الوطنية الكبرى، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009، ص. 12.

بوتفليقة لما ترأس الدورة 29 للجمعية العامة للأمم المتحدة¹، واستمرت الدبلوماسية الجزائرية العمل بخطى ثابتة ومبادئ راسخة متوجة عملها في الشأن الفلسطيني بالإعلان عن قيام دولة فلسطين المستقلة، عاصمتها القدس في 15 نوفمبر من عام 1988.

وهكذا عمل قادة الجزائر في المرحلة ما بعد الاستقلال مباشرة على بعث العالم الثالث بالوقوف إلى جانب حركات التحرر في العالم كله من أجل نظام دولي عادل². وفي هذا الصدد صرح الرئيس هواري بومدين للإذاعة والتلفزيون الإيطالية في 16 من أبريل 1973 بما يلي: ".... من غير المنطقي أن نكافح ضد إسرائيل وحلفائها من جهة ونترك هؤلاء يد الطول في استغلال ثروتنا الضخمة.... لأن المعركة بالإضافة إلى الجانب العسكري لها جوانب أخرى....، وأن القضايا المقدسة تحتاج إلى تضحيات جسيمة وقضية الشعب الفلسطيني هي من القضايا المقدسة..."³. ومن السياسة الدبلوماسية الفذة للراحل هواري بومدين مقلته الذهبية بأننا لن نشارك أبدا في أي نوع من أنواع المتاجرة السياسية بالقضية الفلسطينية.... ولن تتأثر سياستنا أو تتغير بما نسمعه من حجج واهية وادعاءات كاذبة باسم العمل العربي الجماعي⁴.

¹ جريدة صوت الأحرار في آخر تحديث لها 2013/12/24 على الساعة الخامسة مساء وستة وثلاثون دقيقة على الموقع التالي:

www.alahrar.net/ara/permalink/14543.html

² كما عزز مؤتمر القمة المنعقد بالجزائر موقف حركة فتح إذ اعتبر المنظمة الممثل الشرعي والوحيد، راجع في هذا عبد القادر محمودي، تقدم عبد العزيز بوتفليقة، النزاعات العربية وتطور النظام الإقليمي العربي، بدون طبعة، المؤسسة الوطنية للاتصال، 2001، ص. 484.

³ الطاهر يحيوي، عبد العزيز بوتفليقة رجل المهمات الوطنية الكبرى، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009، ص. 12.

⁴ عمار بومايدة، المرجع السابق، ص. 184.

وهكذا كانت مواقف البطل هواري بومدين (رحمه الله) اتجاه القضية الفلسطينية، واستمر دعم الدبلوماسية الجزائرية للقضية الفلسطينية إلى يومنا هذا وخاصة حالة إصلاح ذات البين بين الفصائل الفلسطينية على إثر الانشقاق الذي حصل بينهما قارب الأربع سنوات من 1983-1987 باحتضانها للدورة 18 للمجلس الوطني الفلسطيني تحت شعار - دور المصالحة الوطنية ما بين 20 و25 أبريل، كما لعبت الدبلوماسية الجزائرية دورا فعالا في وقف الحرب التي شنت على المخيمات الفلسطينية في لبنان بين 1985 و1987 رافضة كل الحجج والذرائع في ذلك⁵. وفي الأخير يمكن القول أن الدبلوماسية الجزائرية ومنذ نشأتها عملت على توطيد التعاون العربي-العربي⁶.

3- نشاط الدبلوماسية الجزائرية على الصعيد الإقليمي⁷:

يتمثل هذا الدور في القضاء على نظام الأبرتايدي بجنوب إفريقيا في أول تجربة لعملية المصالحة على المستوى الإفريقي وحتى العالمي، أين احتدم النزاع بين حكومة الحزب الوطني على يد الأقلية البيضاء والأغلبية السوداء إزاء عنصرية الحزب الحاكم، الأمر الذي استدعى تعزيز ودعم الأغلبية السوداء ضد القوانين التي تحمي دعاة العنصرية خاصة حركة " ستيف بيكو المسماة بالوعي الأسود". إلى جانب التغيرات السياسية والاقتصادية في تلك المرحلة⁸. وقد لعبت

⁵ جريدة صوت الأحرار، المرجع السابق.

⁶ محمد الملي، مواقف جزائرية، ط. 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

⁷ الأمثلة كثيرة في هذا الشأن كاعتراف الجزائر بجمهورية البويزو ممثل وحيد للشعب الصحراوي في مارس 1976 ولكن احتراماً لشروط النشر من حيث عدد الصفحات لا يسمح لنا بذكر المزيد.

⁸ محمد أحمد عبد الغفار، المرجع السابق، ص. 277 و288.

دونيسكو تونانيدولومو" وفقا قاعدة - وشهد شاهد من أهلها - " لا ننسى فضل الجزائر في تحرير جنوب إفريقيا من التمييز العنصري"⁴. وفي الأخير يمكن القول أن الدبلوماسية الجزائرية ومنذ نشأتها عملت على توطيد التعاون الإقليميين دول القارة الإفريقية⁵.

4- نشاط الدبلوماسية الجزائرية على الصعيد الدولي:

تمثل في حل أزمة الحدود بين العراق وإيران التي كان سببها الاستعمار البريطاني بترسيم الحدود البحرية "شط العرب" بين البلدين وفق اتفاقية سنة 1937 ما جعل الحكومات الإيرانية المتعاقبة ترفض ذلك الترسيم، ولا تقبل سوى بالحدود التي أقرتها الدولة العثمانية سنة 1913. وبالمقابل عمد الرئيس العراقي صدام حسين في سنة 1969 إلى التصريح بأن شط العرب كله مياه إقليمية عراقية، مما أدى إلى قيام النزاع وتصاعده بين الدولتين على جميع الأصعدة خاصة الجانب العسكري والسياسي، وبقي الحال على ما هو عليه من تنافر وتناحر بين الدولتين إلى غاية سنة 1973 بانعقاد مؤتمر عدم الانحياز بالجزائر، الذي حضره العديد من رؤساء وملوك العالم حيث برز فيه رجل الجزائر هواري بومدين بحكمته وحكمته في حل النزعات الدولية بالطرق السلمية سعيا منه لتحقيق تعاون دولي فعال؛ فقام باستغلال فرصة هذا اللقاء بالتسوية الودية بين شاه إيران ونائب الرئيس العراقي بالتوقيع على اتفاق رسم الحدود في اتفاقية تاريخية قضت على كل الخلافات التي كانت قائمة بين الدولتين، الأمر الذي أعطى للدبلوماسية الجزائرية وزنا دوليا في حل النزاعات

الدبلوماسية الجزائرية دورا تاريخيا وموقفا مشرفا في مكافحة التمييز العنصري (نظام الأبرتايد) بجنوب إفريقيا من طرف السيد عبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية وقتها (رئيس الدولة حاليا)، بالنظر للحكمة والحنكة التي يتحلى بها الرجل، إلى جانب ذكائه ودهائه وبالأخص عند رئاسته للدورة 29 للجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1974 باتخاذ قرار تعليق عضوية جنوب إفريقيا بسبب ممارسة التمييز العنصري وهو ما حصل بالفعل، ولم تنظم دولة جنوب إفريقيا للأمم المتحدة إلا بعد سقوط نظام الأبرتايد¹. ويبدو أن النقطة التي انطلق منها وزير الخارجية آنذاك عبد العزيز بوتفليقة تمثل في الخطاب الذي وجهه نيلسون مانديلا لعدة دول ضد التمييز العنصري الذي كان متفشيا في جنوب إفريقيا وقتها²، ويعد هذا الموقف الدبلوماسي للجزائر حسب رأي أغلب الملاحظين أكبر نصر للدبلوماسية الجزائرية حققه وقتها وزيرها للخارجية، وقد أسهم قرار تعليق العضوية لدولة جنوب إفريقيا بالقضاء النهائي على التمييز العنصري. وبناء على ما سبق ذكره في هذا الشأن؛ تعززت العلاقات الثنائية بين الجزائر ودولة جنوب إفريقيا، وفي هذا دعم وسند للقارة الإفريقية³.

وتدعيما لما سبق ذكره بشأن دور الدبلوماسية الجزائرية في القضاء على ظاهرة التمييز العنصري بجنوب إفريقيا نذكر ما قاله سفير جنوب إفريقيا بالجزائر "

¹ جريدة الأحرار، المرجع السابق.

² حصة تلفزيونية بقناة النهار الفضائية، بتاريخ 05 ديسمبر 2015 على الساعة 19.00 إلى 19.30 دقيقة.

³ جريدة الأحرار، المرجع السابق. كما ساهمت الجزائر في هذه الفترة بإنشاء عدة اقتصادية مثل البنك العربي للتنمية الاقتصادية لإفريقيا، الصندوق العربي للدعم التقني للدول العربية والإفريقية، كما أنشأت منظمة "النياد". راجع في هذا abd-hadj

blogspot.com/2013/03/1955-2012-

html. اطلع على الموقع يوم الثلاثاء 09 أوت 2016 على الساعة 11 و06 دقائق.

⁴ حصة تلفزيونية بقناة النهار الفضائية، المرجع السابق.

⁵ محمد الميلي، مواقف جزائرية، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

وفض الخلافات بين الدول التي يمكن أن تتطور إلى حرب مدمرة¹.

وفي عام 1975 أثناء انعقاد مؤتمر القمة للدول الأعضاء في منظمة الأوبك بالجزائر بادر الرئيس الجزائري هواري بومدين بالاتصال بالعراق وإيران مقترحا التفاوض المباشر بينهما في الجزائر حول القضايا المختلف عليها ووافق العراق على هذه المبادرة تلبية منه لإنقاذ أمن العراق ووحدته الوطنية وتكملت المفاوضات بعقد اتفاقية الجزائر في 06 مارس 1975 التي وقعها عن الجانب العراق صدام حسين ومن الجانب الإيراني نائب رئيس مجلس قيادة الثورة شاه إيران²، وهي من الحالات النادرة أن يوقع رئيس دولة أو ملك اتفاقية مع نائب رئيس دولة أخرى لمخالفة ذلك للأعراف الدبلوماسية. وأعلن الرئيس الجزائري هواري بومدين (رحمه الله) في نهاية اجتماعات قمة دول الـ"أوبك" عن توصل العراق وإيران إلى اتفاق بشأن حل الخلافات بينهما وتلا بياناً مشتركاً أكد اتفاق البلدين على "تحديد الحدود النهرية حسب خط التالوك" وفق اتفاقية الجزائر بين العراق وإيران حول الممرات المائية الحدودية. ومن أهم موادها نذكر المادة الأولى والرابعة والمادة السادسة، هذه الاتفاقية مثلت تسوية يتوازن فيها الجانب السياسي والقانوني بصورة تجعل المساس بأي عنصر من عناصرها إخلالاً بذلك التوازن وسبباً لسقوط هذه الاتفاقية وإيقاف العمل بها. وقد نص على ذلك صراحة في بندها الرابع وهو أن يحقق الطرفان عند تنفيذ التسوية المشار إليها ما تعاهدا عليه من مكاسب متوازنة غير أن الذي حصل فعلاً هو أن

¹ عمار بومائدة، تقدم عبد الحميد مهري، بومدين وآخرون ما قاله وما أثبتته الأيام.....، دار المعرفة، الجزائر، 2008 ص.

² محمد نصر مها وخلدون ناجي معروف، المرجع السابق، ص. 335.

إيران حققت مكسباً فوراً مباشراً بمجرد دخول اتفاقية الجزائر حيز التنفيذ إذ صار وضعها في شط العربي بمثابة الشريك في السيادة على الجزء الأكبر منه استناداً إلى إعادة تحديد الحدود فيه على أساس خط التالوك حيث نصت معاهدة على الحدود الدولية وحسن الجوار بين العراق وإيران بفضل الدبلوماسية الجزائرية³. ولم تتوقف الدبلوماسية الجزائرية في عهد الراحل هواري بومدين (رحمه الله) على الدعم السياسي للقضايا العادلة في العالم بل شمل الجانب الاقتصادي إذ سعى لعقد دورة استثنائية لدراسة مسألة المواد الأولية والتنمية؛ وتم له ذلك في العاشر (10) من أبريل فألقى خطاباً مؤثراً من أجل نظام اقتصادي عادل، وحق الدول النامية في تسيير مواردها الطبيعية، وهكذا فقد كانت السنوات الأولى التالية لاستقلال الجزائر دور فعال في إحداث تغيرات على جميع الأصعدة⁴.

وهكذا أضفت القيادة الجزائرية برئاسة هواري بومدين (رحمه الله) ووزير خارجيتها عبد العزيز بوتفليقة الرئيس الحالي أطال الله في عمره على النشاط الدبلوماسي إلى غاية 1978 إشعاعاً ونفوذاً جعل من الجزائر دولة رائدة في العالم الثالث؛ ومن ثم متحدثاً تصغي إليه القوى العظمى.

وبهذا حددا هواري بومدين (رحمه الله) وعبد العزيز بوتفليقة أيام كانا على رأس الدولة الجزائرية مسار

³ [http:// www.Mideastweb.org/algiesaccord.htm](http://www.Mideastweb.org/algiesaccord.htm)

يوم الأحد 13 نوفمبر 2015 على الساعة 14 و 10 دقائق.

⁴ كما ساهمت الجزائر في هذه الفترة بإنشاء عدة اقتصادية مثل البنك العربي للتنمية الاقتصادية لإفريقيا، الصندوق العربي للدعم التقني للدول العربية والإفريقية، كما أنشأت منظمة "النيباد". راجع في هذا abd-hadj

blogspot.com/2013/03/1955-2012-

html. اطلع على الموقع يوم الثلاثاء 09 أوت 2016 على الساعة 11 و 06 دقائق.

- إن الجزائر بوصفها دولة إفريقية وعربية، إلى جانب كونها دولة محورية في كل من الدائرة العربية والإفريقية تولي اهتمام خاص بالتحرك والتعاون مع دول العالم بصفة عامة، وفي إطار منظمة الوحدة الإفريقية بقيامها بدور فعال في علاج مشكلات القارة. ولذا يجب أن تسعى الجزائر لإنعاش التعاون العربي الإفريقي حتى يؤدي ثماره بتشكيل قوة سياسية واقتصادية يكون لها ثقلها في المحافل العالمية وتكون لها كلمة مسموعة كذلك.

- تعد إنجازات جبهة التحرير الوطني في المجال الدبلوماسي أولى بذور الدبلوماسية الجزائرية وسر نجاحها.

- ارتباط الدبلوماسية الجزائرية بقضايا التحرر وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها.

- الدبلوماسية الجزائرية تقوم وتعتمد على مبدأ ثابت وواضح لا يرضخ ولا يقبل سياسة الكيل بمكيالين.

- إن المكانة والسمعة الدولية التي حققتها الجزائر على جميع الأصعدة في المرحلة ما بعد الاستقلال مباشرة كانت بفضل حنكة ورجاحة عقل القادة المسيرين لها آنذاك وهما البطلين هواري بومدين رئيس الدولة وعبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية.

- قدرة الدبلوماسية الجزائرية على الحل السلمي لبعض القضايا الدولية بمفردها.

- يجب على الجزائر باعتبارها دولة محورية في المنطقة العربية والإفريقية إتباع سياسية المبادرة والاقتراب بوعي وحذر لمضاعفة حصيلة نشاطها الدبلوماسي.

- هناك تناسب طردي بين قوة وتقدم الدولة ونشاطها الدبلوماسي وآثاره على النطاق الداخلي والخارجي.

وترتبط لما سبق نقترح ما يلي :

- على الدبلوماسية الجزائرية أن تلعب دورا فعالا في تطوير التنمية عن طريق جذب وتشجيع رجال المال الأجانب.

الدبلوماسية الجزائرية التي لم تحد عنه إلى يومنا هذا، والذي يقوم على احترام القانون الدولي ومناصرة القضايا العادلة في العالم.

أما بعض المحللين فيرون أن النشاط المتميز للدبلوماسية الجزائرية في عهد الرئيس هواري بومدين (رحمه الله) يتمثل في حاجة الشعب الجزائري لتعويض واستدراك ما فاتته طيلة فترة الاستعمار وفقا لقاعدة - الحاجة أم الاختراع - وإن كانت هذه الرؤية صحيحة؛ فإنها غير كافية، لأن أي نجاح سياسي يتطلب أوضاعا داخلية سليمة وكانت وقتها أوضاع الجزائر في هذا الاتجاه¹. إلى جانب هذا يجب أن لا ننسى انتماء الشعب الجزائري للأمة العربية واعتناقه للدين الإسلامي، مما أهله للتشرب من أصول الدبلوماسية الإسلامية القائمة على حماية الإنسانية ونبذ العنف والتطرف بقيادة قائد الأمة ورسولها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كيف لا وهو القائل من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن.

تعد هذه محطات الثلاث مركز قوة للدبلوماسية الجزائرية في الفترة التالية للاستقلال، وهي نتاج جهد وفكر مفجري الثورة وقادة جبهة التحرير الوطني، كما تمثل هذه المرحلة همزة وصل بين عهد الثورة والوقت الحالي. كما يبدو أن الدبلوماسية الجزائرية في هذه المرحلة تتدرج بين دبلوماسية جهوة (ذات طاقات مقبولة) مثل حالة دولة فلسطين مع الكيان الصهيوني وإيران مع العراق ودبلوماسية مهددة (ذات طاقات فائقة) تمثل حالة نظام الأبرتايد حسب ظروف الحال².

خاتمة:

من خلال البحث والتقصي في موضوع البحث تمكنا من الوصول إلى ما يلي:

¹ صالح بن القبي، المرجع السابق، ص. 23.

² تم ذكر تدرج الدبلوماسية في العنصر الأول من هذا المقال، ص. 04.

- السعي للعمل الدبلوماسي الجماعي مع الدول العربية بالتنسيق مع باقي دول العالم مما يتيح الفرصة لخدمة المصالح العربية المشتركة.
- تفعيل دور جامعة الدول العربية بالسعي للوصول لخلق سبل التفاوض والحوار العربي العربي والعربي الغربي.